

شهادة الزهرا شهادة الزهرا (ع) (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين. وللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الدين.

بَهْ قَهْ وَ قَوْ لِمَ ().

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ~ فَمَلَّ لِرَبِّكَ وَأَنْجَرَ ~ إِنَّمَا نَهَاكَ هُوَ الْأَلَّا بِتَرْهِ﴾.

لا زلنا أيها الإخوة المؤمنون نعيش ذكرى شهادة السيدة الزهراء (ع) من الذكرى الأولى وهي رواية الأربعين يوماً، التي تصادف الثامن من ربى الثاني . إلى الذكرى الثالثة وهي رواية التسعين التي تصادف اليوم الثالث من جمادى الثانى . وكذلك الرواية الوسطى التي تمر علينا هذه الأيام، وهي رواية الخمسة والسبعين يوماً التي تصادف الثالث عشر من جمادى الأول.

والسيدة الزهراء (ع) خُصّت في القرآن الكريم بآيات عدّة، ومنها هذه السورة المباركة التي تلوّناها على مسامعكم، والتي نزلت على رسول الله (ص) عندما انتهى من دفن ابنه بعد وفاته، إذ انتقل ولده عن هذه الدنيا، فاستهزا به كبار المشركين من قريش، وشتموا به، ومنهم العاص بن وائل السهمي، والد عمرو بن العاص، فقد جاء إلى رسول الله (ص) بعد دفن ابنه، وهو لا زال عند القبر الشريف، وكان يصفه بالأبتر.

وكان الكفار يتصورون أن النبوة سوف تستمر في عقب النبي (ص) وأبنائه بعد ارتحاله، فلما توفي ابنه فرجوا بذلك، فوصفوه بالأبتر. وهي صفة يُطلقها العرب بازاء من لا عقب له ولا ذرية، وكانوا يرون أن

امتداد النسل ينحصر بالأبناء. فزاد حزن النبي (ص) لشماتتهم وسخريتهم به، فنزل جبريل (ع) من السماء، وأقرأه السلام من السلام، وقرأ له هذه السورة المباركة التي لا تتعدي الآيات الثلاث المذكورة، وهي أصغر سورة في القرآن الكريم، ولكن لها عظيم الشأن والفضل، لا سيما عند قراءتها في الصلوات الواجبة أو المستحبة.

ففي الحديث الشريف عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «من كانت قراءته إنا أعطيناك الكوثر في فرائصه ونوافله، سقاه أَمِنَ الكوثر يوم القيمة، وكان متحدثه عند رسول الله في أصل طوبى»().

وعن النبي (ص): «من قرأ هذه السورة سقاه أَمِنَ نهر الكوثر، ومن أَمِنَ نهر في الجنة، وكتب له عشر حسنات، بعدد كل من قرب قرباناً من الناس يوم النحر. ومن قرأها ليلة الجمعة مائة مرة رأى النبي (صلى الله عليه وآله) في منامه رأي العين، لا يتمثل بغيره من الناس إلا كما يراها»().

لقد نزلت هذه السورة لتهديء قلب النبي (ص) وإدخال السرور عليه. وقد جعلت السورة الكوثر في مقابل الأبتدر، أي جعلت العاص بن وائل هو الأبتدر وليس رسول الله (ص). وقد تحقق ذلك الوعد الإلهي، فمن يراجع كتب الأنساب اليوم لا يجد أثراً لل العاص بن وائل، فيما يجد نسل رسول الله (ص) يملأ الخافقين، بل هو بالملايين، وليس بالآلاف فقط.

إن فاطمة الزهراء (ع) التي نعيش ذكرها هي المرأة العظيمة التي لولها لما خلق الله السماوات والأرض، ولولها لما خلق الخلق، حتى الأنبياء والرسل. فتأملوا عظمة هذه المرأة التي لم تعش سوى ثمانية عشر ربيعاً.

إنها فاطمة (ع) التي لم تكتمل نبوة النبي إلا بمحبتها، وهي الآية الكبرى، والحججة العظمى على جميع المعصومين، فضلاً عن سائر البشرية، والحديث الوارد عن الإمام العسكري (ع) يقول: «نحن حجة الله على الخلق، وفاطمة حجة علينا». فهي حجة الله عليهم جميعاً، من أولهم حتى آخرهم.

وهي ليلة القدر، فمن عرفها عرف ليلة القدر وأدركها. ومن أراد أن يدرك ليلة القدر فلا بد أن يعرف فاطمة بنت رسول الله (ص).

والحديث عن الزهراء (ع) لا يقف عند حدٍ، فإن تحدثنا عنها من الجانب القرآني نجد أن القرآن الكريم نطق بفضلها ومنتزليتها. وإن تحدثنا من جانب السنة النبوية أو أحاديث المعصومين (ع) من أبنائها، نجد

أن مقامها لا يطاله مقام. وهكذا في الجانب الاجتماعي والمحيط الذي عاشته. فالزهراء (ع) منهج عمل وتجسيد للرسالة، وتطبيق، وليس شعاراً فقط، ولا انتماء لها فحسب، فهذا كله لا يكفي ولا يفي بالغرض.

ففي ليلة زواجهما أهدتها النبي (ص) ثوباً، وما أدرك ما ذلك الثوب الذي أهدتها إياه! وكان يريد أن يراها في تلك الليلة بذلك الثوب، لكنه رآها في ثوبها المعتاد، فسألها عن ذلك، فطأطأت برأسها وقالت: يا أبا طه، أهدتيه إحدى بنات الأنصار، التي استشهد أبوها فيما سبق، وهذه ليلة زفافها. فهل نحن مقتدون بالزهراء (ع) التي تهدي ثوب زفافها في ليلة زفافها؟

الزهراء (ع) في القرآن الكريم:

أما الآيات الواردة في حقها، فهي كثيرة، منها:

1 - سورة الكوثر: وقد ذكرناها فيما سبق.

2 - آية التطهير: إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ لَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا(). فالزهراء (ع) واحدة من أفراد آية التطهير. وقد كان رسول الله (ص) يمر ببيت فاطمة (ع) صبيحة كل يوم، وهو ذاهب إلى المسجد لصلاة الفجر، فيطرق الباب وهو ينادي، الصلاة يا أهل البيت إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ لَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا.

3 - آية المباهلة: وهي قوله تعالى: حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا زَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَرِسَاءَنَا وَرِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ نُّمَّ رَبْتَهِلْ فَذَجَعَلْ لَعْنَةَ عَلَى الْكَادِبِينَ(). فقد خرج بها رسول (ص) هي وعلي والحسنان لمباهلة نصارى نجران، وهو أمر معروف ومشهور لدى جميع المسلمين.

4 - آيات الإطعام: وهي في سورة الإنسان، أو سورة هل أتي، وهي قوله تعالى: يُوفُونَ بِالذَّدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ~ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبَّهِ مَسْكِينًا وَيَتَرِيمًا وَأَسِيرًا ~ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ أَنَّ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَرَاءً وَلَا شُكُورًا(). وذلك عندما مرض الحسنان، فطلب رسول الله (ص) من الزهراء (ع) أن تنذر صيام ثلاثة أيام إذا شفي الحسنان، فنذرت، وشفى الحسنان، فصاموا اليوم الأول، أملاءً أن يفطروا على

خبز الشعير، ولكن طرق الباب ذلك اليوم مسكين، فأعطوه ما لديهم من خبز، وأمسكوا حتى اليوم التالي، واكتفوا بالماء. وفي اليوم التالي، وبينما كانوا يستعدون للإفطار، طرق الباب يتيم، فأعطوه ما لديهم من الخبز، وأمسكوا مكتفين بالماء كما فعلوا في اليوم الأول. وهكذا في اليوم الثالث، طرق الباب أسير، ففعلوا كما فعلوا في اليومين الأول والثاني.

وباتوا في مجاعة ومخصصة، وقد أضر بهم الجوع أيا إضرار. وفي اليوم الرابع جاء الإمام علي (ع) بالحسنين إلى رسول الله (ص) وقد بان عليهما الضعف، وكانتا يرتعشان من الجوع كالفراغ. فنزل قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبَّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسْرِيَّا ﴾.

5 - آية المودة: وهي قوله تعالى: ﴿ فُلُّ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ لِلَّهِ وَدًّا فِي الْقُرْبَانِ ﴾.

6 - قوله تعالى: ﴿ وَآتَ ذَرَّا الْقُرْبَانَ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُونَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾. وذلك بعد أن انتهت معركة خيبر، حيث كانت هناك مجموعة من اليهود مجاورة لفടك، قد طلبت عقد معايدة مع رسول الله (ص) تسلمه بموجبها نصف أرض فടك، فسلمته إليها. ثم نزلت هذه الآية مباشرةً، فقام رسول الله (ص) بتسليم فടك لفاطمة (ع). وكان هذا التسليم بأمر من الله تعالى كما هو واضح. وطلب من فاطمة (ع) أن تباشر العمل بهذه الأرض بواسطة علي (ع) كي يترسخ في أذهان المسلمين جميعاً أن هذه الأرض لفاطمة (ع). فكان علي (ع) يستعمل فيها الفلاحين، و يأتي بمزدودها للزهراء (ع). وكانت سلام الله عليها تتصدق بما يأتيها من فടك على عوائل المهاجرين والأنصار، حتى لا يبقى في بيتها منه شيء. وبقيت في يد فاطمة (ع) إلى أن رحل رسول الله (ص) فأخذت منها كما هو معروف مشهور.

هذا ما أحببنا أن نتطرق إليه في هذه المناسبة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.